****

[](http://www.alukah.net/)

مجدد المغرب العربي الطاهر ابن عاشور

و منهجه في تفسير التحرير و التنوير

د. عبد الله علمي

**مجدد المغرب العربي الطاهر ابن عاشور**

**و منهجه في تفسير التحرير و التنوير**

****

**تقديم**

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله ، و آله و صحبه ، و بعد ،

نسعى من خلال هذا المقال تقديم شخصية لها أثر كبير في **المغرب العربي** ، و هو العلامة ؛ المحقق ؛ اللغوي ؛ المقاصدي ؛ البلاغي : **"الطاهر ابن عاشور" ،** و ذلك بتلخيص أهم محطات حياته ، و بيان إنتاجه العلمي ، و الفكري ، والأدبي.

بعد ذلك أقف على أهم عمل في حياة العلامة " الطاهر ابن عاشور " ، و هو " **تفسيره التحرير و التنوير"،** هذه الموسوعة : **اللغوية ؛ و الفقهية ؛ و العقدية** ... ؛ التي ضمت علوما متفرقة ، و التي استغرق " الطاهر ابن عاشور"- رحمه الله - في تأليفها **أربعين عاما .**

و سأمضي في هذا المقال المركز وفق الخطة الآتية :

المحور الأول : أعرف بـ "الطاهر ابن عاشور"

المحور الثاني : أعرف بتفسيره التحرير و التنوير ؛ و أبين منهجه العلمي

**المحور الأول: التعريف ب "الطاهر ابن عاشور":**

1. **نسبه وأسرته:**

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور ، و أمه هي بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بوعتور ، ينحدر من أسرة علمية عريقة شريفة تنتمي إلى آل البيت ، هاجرت من الأندلس بعد الاحتلال الإسباني لها ، و استقرت بمدينة (سلا) المغربية فترة ثم انتقلت بعدها إلى تونس.[[1]](#footnote-2)

" ولد في جمادى الأولى سنة 1297هــ/شتنبر سنة1879م، بقصر جده لأمه بالمرسى [[2]](#footnote-3)"[[3]](#footnote-4).

1. **عصره:**
2. **الحالة السياسية:**

كانت تونس تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي بعد توقيع معاهدة (باردو) سنة 1881م ؛ و التي منحت فرنسا حق الإشراف على الشؤون العسكرية و الخارجية و المالية ، و حق تعيين وزير فرنسي مقيم بتونس .

و كانت الدولة الفرنسية تسيطر على جميع الوزارات القديمة ؛ عدا وزارة الوزير الأكبر جد ابن عاشور ، و وزارة القلم .

و قد عاش ابن عاشور بعض فترات الاستعمار الفرنسي ، و الذي امتد إلى حدود سنة 1957 .

و بعد ذلك جاءت مرحلة عهد بورقيبة ؛ و التي استمرت حتى وفاة الطاهر بن عاشور سنة 1983 .

يقول الفضل ابن عاشور مؤرخا لهذه المرحلة في معرض حديثه عن إنشاء الجمعية الخلدونية : "... استقر الاستعمار ، و توطد أمره ،و استولى المستعمرون على أجهزة الحكم و الإدارة كافة ، فلم يبق لأبناء البلد أميرهم ، و حقيرهم من الأمر شيء ، و اشتد ساعد الجالية الفرنسية و تضخم عددها ، و نفر أمرها ، و علت كلمتها ، فاعتبرت البلاد التونسية وطنا لها،و وضعت أبناءها الأصليين و مصالحهم بمدرجة الإهمال ، و صارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية ، مستخفة بالديانة الإسلامية ، و العوائد التونسية ، و أصبح جميع المتصرفين الإداريين من الفرنسيين ، لا يشاركهم إلا من لم يسهل صرفه من المواطنين القدماء ، فبقي على كرسيه جسدا ، و صار ابن البلاد مهيـنا ساقط الاعتبار ، و أصبحت لغته مهجورة ، و الحكم حكم غيره ، و البلاد لأمة غير أمته ... "[[4]](#footnote-5).

و من هذا نستشف الحالة السياسية العامة ؛ التي طغت على عصر الطاهر بن عاشور ، **و التي عانى فيها الشعب التونسي كما يقول الفضل ويلات التغريب داخل الوطن .**

1. **الحالة الاقتصادية :**

عاش ابن عاشور حالة أزمات اقتصادية ، بعد وقوع تونس تحت الحماية الفرنسية ، و استنزاف ثروات البلاد و أملاكها ، و جعل تونس سوقا للبضائع الفرنسية و صادراتها .

و قد عرفت هذه المرحلة احتضان البعض من الجالية الفرنسية ، و تجنيسهم و منحهم معظم الامتيازات المادية على حساب أبناء الوطن ، و دعت التونسيين إلى التجنس مقابل المراتب العالية.

و بعد الاستقلال حرصت تونس على بناء نفسها و تطوير اقتصادها ، لكن الصراع الدائم أضر كثيرا بالتنمية الاقتصادية [[5]](#footnote-6) .

**ج- الحالة الاجتماعية :**

بعد الاحتلال الفرنسي تعقدت الأوضاع الاجتماعية للتونسيين ، و فشا الفقر و الجهل ، و ظهر تفاوت كبير بين طبقة الأثرياء الذين ازدادوا ثراء و طبقة الفقراء ، خاصة ممن كان يحرص على هويته و جنسيته ، و قد حصل من جراء الانفتاح على الأوربيين فساد في الأخلاق ، و انتشرت دور الملاهي و غيرها ، كما شهدت تونس في مرحلة الطاهر ابن عاشور نموا ديموغرافيا كبيرا [[6]](#footnote-7).

1. **مسيرته العلمية و العملية :**
2. **مساره العلمي:**

بدأ الطاهر ابن عاشور بحفظ القرآن الكريم في سن السادسة من عمره في بيته ، على عادة الأسر العريقة ؛ التي تخصص بالمنزل ناحية خارجية تدعى ( بيت الحكمة ).

و لما بلغ الرابعة عشر من عمره ، التحق بجامع الزيتونة الأعظم ؛ ليدرس سبع سنوات مجموعة من الفنون منها : **النحو و الصرف** : حيث درس ألفية ابن مالك بشرحها ، و منها شرح الشيخ خالد بنعبد الله الأزهري المسمى " التصريح بمضمون التوضيح"، و شرح عبد الرحمان المكودي الفاسي ت807هـ ، و شرح الأشموني ت822هـ ، كما درس المقدمة الأجرومية بشرحها للشيخ خالد الأزهري ، و قطر الندى و بل الصدى لابن هشام ت762هـ، و لامية الأفعال لابن مالك ت 672هــ ، و درس مغني اللبيب لابن هشام مع شرح محمد بن بكر الدماميني ت828 هــ .

ثم درس **البلاغة :** حيث قرأ الرسالة السمرقندية لمحمد الدمنهوري ت1288هــ ، و شرح التفتازاني ت 792هــ على تلخيص المفتاح في المعاني و البيان للقزويني ت739 .

و في **المنطق** : درس السلم ، و هو منظومة للشيخ عبد الرحمان الصغير ت983هـ ، كما قرأ التهذيب و هو رسالة في المنطق للتفتازاني .

و في **علم العقائد و الكلام** : قرأ العقائد النسفية ، و هو متن في العقيدة للشيخ النسفي ت537هـ و قد شرحه التفتازاني ، و درس المواقف و هو كتاب في علم الكلام لعضد الدين الإيجي ت690هـ بشرح السيد الشريف الجرجاني ت816هــ .

و في **الفقه :** درس كتاب أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للدردير ت1201ه ـ، و شرح الشيخ محمد ابن أحمد الفاسي ت1072هــ على كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الأندلسي الفاسي ت1040هــ ، و في الفقه المالكي درس تحفة الحكام لقاضي الجماعة بن عاصم المالكي ت829هـ .

و في **أصول الفقه** : درس شرح ابن الحطاب المالكي على الورقات لإمام الحرمين عبد المالك الجويني ت478هـ ، و قرأ تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي ت684هـ ، و شرح جلال الدين المحلي ت864هـ على جمع الجوامع في أصول الفقه المالكي لتاج الدين السبكي ت881هـ .

و كان الشيخ الطاهر بن عاشور مواظبا على جميع الحلقات و الدروس العلمية ، و كان له دفتر للدروس مؤرخا ب18 شعبان 1310 ، و رقمه 3036 ، و عدد صفحاته 44 بعد المائة [[7]](#footnote-8) .

**و قد تخرج الشيخ على يد ثلة من الشيوخ و العلماء :** حيث درس على الشيخ عبد القادر التميمي تجويد القرآن و علم القراءات و بخاصة **رواية قالون** ، كما درس على الشيخ عمر بن عاشور لامية الأفعال و شروحها في **الصرف** ،و تعليق الدماميني على المغني لابن هشام في **النحو** ، و مختصر السعد في البلاغة ، و الدرديري في الفقه ، و الدرة في الفرائض ، و أخذ عن الشيخ محمد صالح الشريف كتاب الشيخ خالد الأزهري ، و القطر لابن هشام ، و المكودي على الخلاصة في النحو ، و السلم في **المنطق** ، و درس عــلى الشيـخ محمـد النخـلي القطـر ، و المكودي على الخـلاصة ، و مقدمة الإعراب في النحو ، و مختصر السعد في **البلاغة** ، و التهذيب في المنطق[[8]](#footnote-9) .

بهذا ضم ابن عاشور إلى حفظ كتاب الله ، حفظ و مدارسة مجموعة من المتون و العلوم المتعلقة بالوسائل و المقاصد ، و درسها دراسة جادة بجامع الزيتونة على يد شيوخ شهدوا له بالتفوق و النبوغ ، و بالقدرة الفائقة على التمثل و التعمق [[9]](#footnote-10).

1. **مساره العملي :**

تقلد الطاهر ابن عاشور مناصب عديدة : ففي سنة 1320هـ/1903م تولى التعليم بصفة رسمية بالجامع الأعظم ، و في عام :1321هـ/1904م انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية ؛ ليدرس مجموعة من العلوم منها : البلاغة من خلال شرح المطول للتفتازاني ، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، و الفقه من خلال المحلى لابن حزم الظاهري ، و علم الاجتماع من خلال مقدمة ابن خلدون، كما درس ديوان الحماسة لأبي تمام في الأدب ، و درس المقدمة الأجرومية في النحو ، و درس أيضا التفسير من خلال تفسير البيضاوي ، و تفسيره التحرير و التنوير الذي ألفه و هو يدرس بالجامع الأعظم ، و درس موطأ الإمام مالك في علم الحديث [[10]](#footnote-11).

و في عام 1905م نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى ، و في نفس السنة عين عضوا باللجنة التي تشكلت لتحرير فهرس الكتب الموقوفة على المكتبة الصادقية ، و في عام 1908م عين نائبا عن الدولة للنظارة العلمية بالجامع الأعظم ، و في عام 1909م عين عضوا بمجلس إدارة المدرسة الصادقية ، و في نفس السنة عين عضوا بمجلس المدارس ، و في سنة 1910م عين عضوا بلجنة إصلاح التعليم الأولي ، و في نفس السنة عين عضوا بلجنة ترتيب الكتب الموجودة بالجامع الأعظم مكلفا بتدوين الفهارس ، و في سنة 1911م عين عضوا بمجلس الأوقاف الأعلى ، و في نفس السنة عين حاكما بالمحكمة العقارية ، و في سنة1913 م عين قاضيا مالكيا للجماعة ، و في سنة 1923م عين مفتيا مالكيا ، و في سنة 1928 أصبح كبير أهل الشورى المالكية ، و في سنة 1933م تقلد إدارة جامعة الزيتونة ، و بقي سنة ليقدم استقالته منها ، و سنة 1956عين عميدا للجامعة الزيتونية ، ثم أصبح سنة 1957 عضوا مراسلا بمجمعي اللغة في القاهرة و دمشق [[11]](#footnote-12) .

1. **تلامذته و تراثه العلمي:**

**أ – تلامذته :**

تتلمذ على يد الطاهر بن عاشور جمع من الأعلام ، من رواد الفكر و العلم في تونس و خارجها من البلدان ، منهم :

•**عبد الحميد بن باديس الجزائري** ولد سنة 1308هـ و توفي سنة1359هـ ، و هو رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ، و قد عُرف بالتصدي للحملات الاستعمارية [[12]](#footnote-13) .

•**محمد الصـادق الشطي ،** ولد سنة1312هـ ، و توفي سنة1364هـ ، و هو فقيه تونسي ، درس بجامع الزيتونة علوم التربية و الفرائض [[13]](#footnote-14) .

•**زين العابدين بن الحسين** ولد سنة 1318هـ و توفي سنة 1388هـ ، و هو صاحب المعجم في النحو و الصـرف ، و المعجم في القـرآن ، و الأربعون الميدانية في الحديث [[14]](#footnote-15).

•**محمد الفاضل ابن عاشور ،** ولد سنة1328هـ ، توفي سنة1390هـ ، و هو ابن الطاهر ابن عاشور ، له مؤلفات من أهمها : التفسير و رجاله ، أعلام الفكر ، تراجم الأعلام [[15]](#footnote-16).

•**أبو الحسن بن شعبان** ، ولد بتونس سنة1315هـ ، و توفي سنة 1383هـ ، و هو أديب و شاعر [[16]](#footnote-17) .

•**محمد بن خليفة المدني** ولد سنة1307هـ و توفي سنة 1378هـ ، كتب في تفسير القرآن و سوره ، و كتب في التجويد كفاية المريد في فن التجويد [[17]](#footnote-18) .

•**محمد بن الخوجة** توفي سنة1325هـ ، أخذ العلم عن والده و عن جماعة من العلماء ، تولى مهمة التدريس و الخطابة ، كما تولى منصب مفتي الديار التونسية ، و منصب عمادة كلية الزيتونة ، كما شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة ، و له كتاب شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور ، و قد كانت تربطه بالطاهر ابن عاشور صلة وثيقة [[18]](#footnote-19) .

**ب-تراثه العلمي:**

خلف الطاهر ابن عاشور تراثا ضخما ، يصل إلى أربعين مؤلفا في غاية الدقة ، و في فنون و علوم شتى ، أهمها تفسيره التحرير و التنوير .

**ب-1ألف في مجال العلوم اللغوية:**

• أصول الإنشاء و الخطابة ، طبعته الدار التونسية للنشر و التوزيع سنة 1988م ، و هو كتاب في فن الأدب.

• الأمالي على دلائل الإعجاز ، و هو مخطوط موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى بتونس .

• تحقيق كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لعبد الله البطليوسي ، و هو مخطوط موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى بتونس.

•تحقيق كتاب قلائد العقيان و شرح ابن زاكور له ، طبعته الدار التونسية للنشر سنة1989م .

•تحقيق مقدمة في النحو مخطوط .

•تحقيق شرح القرشي على ديوان المتنبي مخطوط .

•تراجم لبعض الأعلام مخطوط .

•تصحيح و تعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر مخطوط .

•تعليق على المطول بحاشية السيالكوتي مخطوط .

•ديوان بشار بن برد جمع و تحقيق و شرح ، طبعته الدار التونسية للتوزيع و النشر ، سنة1976 .

•ديوان الحماسة لأبي تمام شرح و تحقيق مخطوط .

•ديوان سحيم جمع و شرح مخطوط .

•ديوان النابغة الذبياني شرح و تحقيق ، طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة 1976 .

• سرقات المتنبي شرح و تحقيق ، طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة 1970 .

•غرائب الاستعمال مخطوط .

•قصيدة الأعشى في مدح المحلق شرح و تحقيق ، طبعته مطبعة العرب بتونس سنة 1929م .

•معلقة امرئ القيس شرح و تحقيق ، مخطوط .

•المقدمة الأدبية للمرزوقي شرح و تحقيق ، طبعته الدار العربية للكتاب بليبيا ، سنة 1978م .

•موجز البلاغة ، طبعته الدار التونسية للطبع و النشر .

•الواضح في مشكلات شعر المتنبي تحقيق ، طبعته الدار التونسية للنشر و التوزيع ، سنة 1968 .

**ب2- و في مجال العلوم الشرعية ألف :**

•تفسير التحرير و التنوير ، طبعته دار سحنون للنشر و التوزيع بتونس سنة 1997 .

• مقاصد الشريعة الإسلامية ، طبعته الشركة التونسية للنشر و التوزيع ، سنة 1975 .

•آراء اجتهادية و مسائل علمية ، و هو مخطوط .

•أصول التقدم في الإسلام ، طبعته الشركة التونسية للتوزيع .

•أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، طبعته دار النفائس بعمان .

•أليس الصبح بقريب ، في مناهج التعليم العربي الإسلامي : دراسة تاريخية و آراء إصلاحية ، طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة1967م .

•الأمالي على مختصر خليل ، مخطوط ، و هو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى بتونس.

•تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة ، طبعته الشركة التونسية للتوزيع و النشر سنة 1985م .

•تعليقات على شرح حديث أم زرع ، مخطوط.

•التوضيح و التصحيح في أصول الفقه للقرافي ،طبعته مطبعة النهضة بتونس سنة 1331 .

•فتاوى و رسائل فقهية ، مخطوط .

•قصة المَولد ، طبعته الدار التونسية للنشر ، سنة 1972م .

•كشف المغطى في المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ ، طبعـته الشركة التونسية للتوزيع ، سنة 1975م .

•النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح ، طبعته الدار العربية للكتاب بتونس و ليبيا ، سنة1979م .

•نقد علمي لكتاب الإسلام و أصول الحكم ، طبعته المطبعة السلفية و مكتبتها بمصر.

**ب3- كما شارك في مجموعة من المجلات العلمية :**

•السعادة العظمى ، و التي أسسها محمد الخضر حسين سنة 1321هـ ، و هي أول مجلة ظهرت في المغرب ، و استمر صدورها لمدة عامين ثم أوقفتها سلطات الاستعمار .

•المجلة الزيتونية ، و هي مجلة أخلاقية أدبية ، أصدرتها هيئة التدريس بجامع الزيتونة ، سنة1936م .

•مجلة المجمع العلمي بدمشق ، و هي مجلة لغوية صدر العدد الأول منها : يناير سنة1921م بسوريا ، و هي مجلة شهرية .

•مجلة المنار ، أسسها محمد رشيد رضا بالقاهرة ، و صدر عددها الأول سنة 1897 ، و هي مجلة ثقافية فكرية .

•مجلة الهداية الإسلامية ، صدر العدد الأول منها في أكتوبر ، سنة1973م ، و مازالت تصدر حتى الآن عن المجلس الإسلامي الأعلى.

• مصباح الشرق ، أسسها إبراهيم المويلحي[[19]](#footnote-20) ، و صدرت سنة 1898م في القاهرة ، اهتمت بالنقد الاجتماعي و الأدبي ، و توقفت عن الصدور سنة 1903م .

•نور الإسلام ، مجلة شهرية تصدر عن الأزهر.

**المحور الثاني : التعريف بتفسير التحرير و التنوير و بيان منهجه**

**المبحث الأول : التعريف بتفسير التحرير والتنوير**

يعد تفسير التحرير و التنوير أو ( تحرير المعنى السديد ، و تنوير العقل الجديد ، من تفسير الكتاب المجيد ) للطاهر ابن عاشور من أهم مصادر التفسير ، و الذي أسهم من خلاله الطاهر في إثراء المكتبة العربية بقراءة جديدة للنص القرآني ، متأملا أسرار القرآن متجسدا أسرار الإعجاز البياني ، قال في مقدمته : "... و قد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز و نكت البلاغة العربية و أساليب الاستعمال ... " [[20]](#footnote-21) .

و تناول فيه كل آي القرآن ، بمنهج دقيق مفصل استلزمه مدة طويلة ، دامت أربعين سنة إلا ستة أشهر ، يقول ابن عاشور : ( و كان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني من شهر رجب عام ثمانية و ثلاثمائة و ألف، فكانت مدة تأليفه تسعا و ثلاثين سنة و ستة أشهر ) [[21]](#footnote-22) .

و يقع هذا التفسير في ثلاثين جزءا موزعا على خمسة عشر مجلدا ، طبع على مراحل عدة ، المرحلة الأولى طبع فيها الجزء الأول سنة 1964م ، و الثاني سنة1965م ، و نهايته تفسير الآية رقم : 202 من سورة البقرة ، و تولى الطبع و النشر في هذه المرحلة السيد عيسى البابي الحلبي بالقاهرة [[22]](#footnote-23) ، و المرحلة الثالثة تولت طبعه الدار التونسية للنشر مستقلة مرة ، و بالاشتراك مع الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان طرابلس ليبيا مرة أخرى ، و طبع في هذه المرحلة الكتاب كله في ثلاثين جزءا في خمسة عشر مجلدا .

و تفسير التحرير و التنوير هو تفسير بلاغي ، اهتم فيه الطاهر ابن عاشور بتحليل آي القرآن تحليلا بلاغيا ، مستخرجا دقائق و أسرار القرآن ، مضمنا إياه مجموعة من العلوم : منها اللغة ؛ و النحو ؛ و الأشعار ؛ و المقامات ؛ و السير ؛ و التاريخ ؛ و أسباب النزول ؛ و علم القراءات ؛ و علم العقائد ؛ و الكلام ؛ و علم الآثار .

أما عن دوافع تأليف هذا التفسير ، يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره : " كان أكبر أمنيتي منذ زمن بعيد ، تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدنيا و الدين ، و موثق شديد العرى من الحق المتين ، و الحاوي لكليات العلوم و معاقد استنباطها ، و الآخذ من محل نياطها ، طمعا في بيان نكت من العلم و كليات من التشريع ، و تفاصيل من مكارم الأخلاق ، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره ، أو مطالعة كلام مفسره " [[23]](#footnote-24) .

كما واجهته صعوبات و عراقيل أثناء التأليف ، يقول : " و لكن كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال ، و أحجم عن الزج بسية قوسي في هذا النضال ، اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة ، أو فلتات سهام الفهم و إن ساعد الذهن كمال الفتوة " [[24]](#footnote-25) .

و يحكي ظروفه التي أحاطت بالتفسير و رغبته الشديدة في إتمامه : " فبقيت أسوف النفس مرة و مرة أسومها زجرا ، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى ، و أنا آمل أن أمنح من التيسير ، و ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير ، و فيما أنا بين إقدام و إحجام ، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد و أخرى الثُّمَام ، إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى ، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضا ، فبقيت متلهفا ولات حين مناص ، و أضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص ، و كنت أحادث بذلك الأصحاب و الإخوان ، و أضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب البيان ، و لم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني و أرجو إنجازه ، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة ، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا . و أصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا ، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس ، و طمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها و يعلمها الناس ، هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته ، و استعنت بالله تعالى و استخرته ، و علمت أنما يهول من توقع كلل أو غلط ، لا ينبغي أن يحول بيني و بين نسج هذا النمط ، إذا بذلت الوسع في الاجتهاد ، و توخيت طرق الصواب و السداد ) [[25]](#footnote-26) .

**و تنوعت مصادر هذا التفسير :**

* ففي **مجال التفسير** اعتمد :

معاني القرآن ليحيى الفراء ت207هـ ، و جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد ابن جرير الطبري ت310هـ ، و أحكام القرآن لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص ت370هـ ، و تفسير معالم التنزيل لأبي محمد المعروف بالفراء البغوي ت510هـ ، و مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل الطبرسي ت538هـ ، و الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري الخوارزمي ت538هـ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي الأندلسي ت542هـ ، و الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ت671هـ ، و أنوار التنزيل و أسرار التأويل لعبد الله البيضاوي ت691هـ ، و الكشف و البيان في تفسير القرآن لأحمد النيسابوري ت724هـ ، و مفاتيح الغيب لمحمد الرازي الملقب بفخر الدين ت727هـ ، و تفسير القرآن العظيم لعماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير ت774هـ ، و البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ت794هـ ، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي ت982هـ ، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني لشهاب الدين الألوسي ت1270هـ ، و تفسير الشيخ محمد عبده ت1323هـ ، و تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ت 1372هـ [[26]](#footnote-27) .

* و في **مجال الحديث** اعتمد :

الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ت179هـ ، و المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ت241هـ ، و الجـامع الصحيح ( صحيح البخاري ) لأبـي عــبـد الله محمــد بن إسماعيل البـخاري ت256هـ ، و صحيح مسلم لمسلم ابن الحجاج النيسابوي ت261هـ ، و سنن أبي داود لسليمان السجستاني ت270هـ ، و سنن الترمذي لمحمد ابن عيسى الترمذي ت270هـ ، و سنن ابن ماجة لمحمد ابن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة ت274هـ ، و سنن النسائي لأبي عبد الرحمان أحمد ابن شعيب ت302هـ ، و كتب الإلزامات للدارقطني ت385هـ ، و شعب الإيمان للبيهقي ت458هـ .

* كما اعتمد في **مجال الفقه** :

رسائل في أصول الفقه لمحمد بن إدريس الشافعي ت 204 ه ـ، و المحلى لعلي بن حزم الظاهري ت456هـ ، و البيان و التحصيل لأبي الوليد محمد ابن رشد ت520هـ ، و الذخيرة لشهاب الدين القرافي ت682هـ ، و مجموع الرسائل و المسائل لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني ت728هـ ، و الموافقات في أصول الفقه لأبي إسحق الغرناطي الشاطبي ت790هـ .

* و استمد من **مصادر النحو** على اختلاف مدارسها و اتجاهاتها :

أخذ من **مدرسة البصرة :**

حيث استفاد من أبي عمرو بن العلاء ت154هـ ، و عمرو بن عثمان سيبويه ت180هـ ، و محمـد قطرب ت206هـ ، و محمد بن يزيد المبرد ت247هـ ، و أبي إسحاق بن سهل الزجاج ت310هـ .

•و أخذ من **مدرسة الكوفة :**

إذ استفاد من يحيى بن زياد الفراء ت207هـ، و أبي بكر محمد الأنباري ت328هـ .

•و أخذ من **مدرسة بغداد** :

فأخذ من أبي علي الفارسي ت377هـ ، و أبي الفتح عثمان بن جني ت392هـ ، و ابن يعيش بن علي ت642هـ .

•ومن **مدرسة الأندلس :**

أخذ من أبي الحسين بن سيده ت458هـ ، و جمال الدين محمد بن مالك ت 646ه.

* و استفاد من **مصادر الشعر و الأدب** :

حيث استدل بشعر : امرئ القيس ت 565 م ، و عنترة العبسي ت 608 م ، و لبيد بن ربيعة العامري ت 41هـ ، و النابغة الذبـياني ت 605 م ، و زهير بن أبي سُلمى609 م ، و عمرو ابن كلثوم584م ، و الأعـشى629 م ، و طرفة ابن العبد 569 م ، و الحارث بن حلزة 580 م ، و حاتم الطائي 578 م ، و عـلقمة بن عبـدة 603 م ، و الحطيئة 45 ه ـ، و العباس بن مرداس639 م ،و أمية بن أبي الصلت 630م ، و عمـرو ابـن مـعد يكربت 643 م ، و زياد بن الأعجم ت 100هـ ، و من مراثي الخنساء ت 24 هـ ، و من أشعار حـسان بن ثابـت35 هـ ، و من شعر كعـب بن مالك50هـ ، و عبـد الله ابن رواحة 8 ه ـ، و من جرير 110هـ ، و الفرزدق 38هـ ، و الأخطل710م ، و أبي العلاء المعري 449 هـ ... و غيرهم .

* و رجع لمصادر **اللغة لتوثيق المفردات و الألفاظ :**

مثل : القاسم بن سلام ت287هـ في كتاب غريب الحديـث ، و الأزهري ت370هـ في تهـذيب اللغة ، و الجوهري ت397هـ في الصحاح ، و الراغب الأصفهاني ت502 هـ في مفردات غريب القرآن ، و الحريري ت516هـ في المقامات ، و ابن منظور ت711هـ في لسان العرب ، و الجرجاني ت717هـ في التعريفات ، و الفيروز آبادي ت817هـ في القاموس المحيط ، و السيد محمد مرتضى الزبيدي ت1205 هـ في تاج العروس .

* و من مصادر **البلاغة :**

حيث اعتمد : كتاب البيان و التبيُّن للجاحظ ت255هـ ، و سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ت 366هـ ، و إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ت403 ه ـ، و الشافية و أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ت471 ه ـ، و أساس البــلاغة لمحمـود جار الله الزمخشري ت 538هـ ، و المفتاح لأبي يعقوب السكاكي ت626هـ ، و تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ت 739ه .

**المبحث الثاني : منهج الطاهر ابن عاشور في تفسير التحرير و التنوير :**

**المطلب الأول : دراسة في المقدمات العشر لتفسير التحرير والتنوير:**

بدأ الطاهر تفسيره بعشر مقدمات ، ذكر فيها أسسه المنهجية التي سار عليها في تفسيره ، يقول : " و ها أنا ابتدئ بتقديم مقدمات تكون عونا للباحث في التفسير ، و تغنيه عن معاد كثير " [[27]](#footnote-28) ، و قد نحا الطاهر نحو سابقيه من المفسرين ؛ الذين وضعوا مقدمات بين يدي تفاسيرهم ، و منهم شيخ المفسرين الطبري في تفسيره ، و القرطبي في تفسيره الجامع لآيات الأحكام ، و أبو حيان في بحره المحيط ، و الألوسي في روح المعاني ، و القاسمي في محاسن التأويل ... و غيرهم .

**لكن الطاهر بن عاشور فصل تفصيلا دقيقا في مباحث لها صلة بالتفسير** ، و جعل ذلك على شكل مقدمات عشر ، و وضع لكل منها عنوانا خاصا :

1. **المقدمة الأولى : في التفسير و التأويل و كون التفسير علما :**

تحدث فيها ابن عاشور حول التفسير و التأويل مبينا معنى التفسير لغة و اصطلاحا ، ثم خرج بتعريف للتفسير مفاده أنه : " اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن و ما يستفاد منها باختصار أو توسع " [[28]](#footnote-29) ، و عد علم التفسير علما مستقلا على خلاف ما تعارف عليه المفسرون ، كما بين دوره ، و الذي يشتمل على بيان أصول التشريع و كلياته [[29]](#footnote-30) .

1. **المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير**

تناول فيها ابن عاشور مصادر علم التفسير و مراجعه ؛ التي يستمد منها ، و حدد مفهوم العربية و الذي يراد منه "معرفة مقاصد العرب من كلامهم و أدب لغتهم " [[30]](#footnote-31) ، كما تحدث عن دور الأثر [[31]](#footnote-32) في علم التفسير ، و أسباب النزول ، و علم القراءات ، و علم العقيدة ، و علم أصول الفقه .

**ت- المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور و معنى التفسير بالرأي**

كان لزاما على الطاهر ابن عاشور أن يبدأ بهذه المقدمة ؛ لأن الحديث عن تفسير القرآن يليه مباشرة الحديث عن التفسير الأثري الناقل ، و التفسير التأويلي المحلل ، و قد تصدى ابن عاشور للأقوال القائلة بعدم جواز التفسير بالرأي بعد عرضها ، و أجاب عنها كلها بخمسة ردود قوية ، و ميز المقبول و المذموم من التفسير.

و بين أيضا أنه " لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية ؛ لكان التفسير نزرا ، و نحن نشاهد كثرة كلام أقوال السلف من الصحابة ، فمن يليهم في تفسير آيات القرآن و ما أكثر ذلك الاستنباط برأيهم و علمهم " [[32]](#footnote-33) .

كما رد ابن عاشور عن المغرقين في التأويل الإشاري و الباطني ، و عاب عليهم هذا المنهج ، و خرج بخاتمة تقرر عدم جواز الإقدام على التفسير دون مستند من نقل صحيح عن المفسرين ، أو دون أن يكون صاحب التفسير ضليعا في العلوم التي يحتاجها .

**ث- المقدمة الرابعة : في غرض المفسر**

بين الطاهر بن عاشور في هذه المقدمة وجوب علم المفسر بالمقاصد الأصلية التي نزل من أجلها القرآن ؛ و التي تتلخص فيما يلي :

إصلاح الاعتقاد أولا ، و تهذيب الأخلاق ثانيا ، ثم التشريع لأحكام عامة و خاصة ، و بيان سياسة الأمة ، و هذا باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة ، كما ذكر الغرض من عرض القصص و أخبار الأمم السالفة ، و التي تدعو للتأسي بصالح أحوالهم [[33]](#footnote-34) .

و بين في هذه المقدمة طرائق المفسرين في التعاطي مع كتاب الله ، و التي تتلخص في ثلاثة أنحاء : إما الوقوف عند ظاهر اللفظ ، و إما استنباط معان من وراء هذا الظاهر ، و إما جلب المسائل و بسطها للمناسبة بينها و بين المعنى و عرض آراء المفسرين في التفسير العلمي .

1. **المقدمة الخامسة : حول أسباب النزول**

بين فيها أهمية أسباب النزول ، و أقسام أسباب النزول و فوائدها ، كما انتقد الذين اعتقدوا الخطأ في أسباب النزول ، و المكثرين من البحث عن أسباب النزول ، و الذين قالوا إن لكل آية من القرآن سبب نزول [[34]](#footnote-35) .

1. **المقدمة السادسة : حول علم القراءات**

تحدث في هذه المقدمة عن شروط القراءة الصحيحة ، و ذكر حديث الأحرف السبعة و الاختلاف في المعنى ، كما تحدث عن مراتب القراءات الصحيحة و الترجيح بينها ، و صرح بأن تفسيره أسسه على قراءة قالون عن نافع ، و هي القراءة المشتهرة في الوسط التونسي .

كما بين أيضا مدى تعلق علم القراءات بالتفسير ، فهذان العلمان في نظره يتصلان من جهتين : الأولى : تتضمن اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف و الحركات ، و الثانية : هي اختلاف القراء في حروف الكلمات ، و اختلاف الحركات ، و اعتبر هذه الأخيرة أشد ارتباطا بالتفسير [[35]](#footnote-36) .

1. **المقدمة السابعة : حول قصص القرآن**

تحدث في هذه المقدمة عن القصص القرآني ، و بين من خلالها معنى القصة القرآنية ، و مميزاتها ، و فوائدها ، و عرج على أسرار تكرارها ، كما تحدث عن مناسبة سوقها ، و مكانها المناسب ؛ " لأن سوقها في مكانها يكسبها صفتين : صفة البرهان و صفة البيان " [[36]](#footnote-37) .

1. **المقدمة الثامنة :لخص فيها أسماء القرآن ، و تحدث فيها عن آياته و سوره و ترتيبها و أسمائها :**

حيث تحدث في هذه المقدمة عن أسماء القرآن ، و آياته و سوره و ترتيبها ، و بين أسماء القرآن و دلالتها ، و ذهب إلى أن التسوير سنة نبوية ، كما عرف الآية و مقدارها و حدودها ، و أفاض الحديث عن الفواصل القرآنية ، و رأى أنها توقيفية ، كما عرض للخلاف في عدد الآيات ، و الخلاف في ترتيب السور .

1. **المقدمة التاسعة : بين فيها المعاني التي تتحملها جمل القرآن :**

حيث تحدث فيها عن نسج القرآن ، و إتقان نظمه ، و قال : إنه أفصح لغة على وجه الأرض ؛ لأن الله تعالى أراد أن يكون القرآن كتابا مخاطبا به كل الأمم في جميع العصور ، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر و هي اللغة العربية [[37]](#footnote-38) ، و بين أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة و مقصودة ، و أن مختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن و تراكيبه و إعرابه و دلالته من : اشتراك ، و حقيقة ، و مجاز و صريح ، و كناية ، و وصل ، و وقف ، إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق يجب حمل الكلام على جميعها ، و عرض للخلاف في مسألة المشترك في معنييه أو معانيه دفعة واحدة ، و استعمال اللفظ في معناه الحقيقي و معناه المجازي معا ، و رأى أن " الذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحمله في المعاني سواء في ذلك اللفظ المشترك ، و التراكيب المشتركة في مختلف الاستعمالات ، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية ، محضة أو مختلفة " [[38]](#footnote-39) .

1. **المقدمة العاشرة : حول إعجاز القرآن :**

عرض فيها ابن عاشور خصائص إعجاز القرآن ، و التي لم ير غرضا تناضلت له سهام الأفهام مثله ، و لا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى ، و اقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا [[39]](#footnote-40) .

و انتقل بعد ذلك إلى تفصيل وجوه الإعجاز الثلاثة ، و التي تتلخص في بلوغ القرآن الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي الفصيح ، و الجهة الثانية : ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ، و الجهة الثالثة : ما أودع فيه من المعاني الحكيمة و الإشارات إلى الحقائق العقلية العلمية [[40]](#footnote-41) .

و قد ذيل الحديث في هذه المقدمة بما سماه **مبتكرات القرآن** و أنها هي التي " تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب " [[41]](#footnote-42) .

**المطلب الثاني : منهجه في التفسير بالمأثور**

المقصود بالتفسير بالمأثور ، **تفسير القرآن بالقرآن ،** أو **تفسير القرآن بالحديث النبوي التام السند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ،** أو **بأقوال الصحابة باعتبارهم شاهدوا التنزيل .**

و هذا منهج اختصت به بعض التفاسير مثل : تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي .

و قد زاوج الطاهر ابن عاشور بين هذا المنهج و بين التفسير بالرأي ، و أضاف **بعض النقول من باقي الكتب المقدسة .**

1. **منهجه في تفسير القرآن بالقرآن :**

عد أهل التفسير هذا النوع من التفسير أرقى أنواعه ؛ لأن ما أجمله الله في كتابه في موضع بينه في آخر ، يقول الأمين الشنقيطي ت 1979م : " إن أشرف أنواع التفسير و أجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل و علا من الله جل و علا " [[42]](#footnote-43) .

و هذا النوع من التفسير أول طريقة يجب الوقوف عندها للخروج بمعاني الآيات ، إذ لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها إلى مرحلة أخرى ؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه ، و أعرف به من غيره [[43]](#footnote-44) .

و قد بين الطاهر بن عاشور دور هذا النوع من التفسير ، و عده من قبيل حمل بعض الكلام على بعض ، كتخصيص العموم ، و تقييد المطلق ، و بيان المجمل ، و تأويل الظاهر ، و دلالة الاقتضاء ، و فحوى الخطاب ، و لحن الخطاب ، و مفهوم المخالفة [[44]](#footnote-45) .

و وفق هذا التحديد سار ابن عاشور في تفسير القرآن بالقرآن ، و من أمثلة ذلك قوله تعالى :﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [[45]](#footnote-46) ، يقول : " و القلوب : العقول و محال الإدراك ، و هذا كقوله تعالى:﴿ختم الله على قلوبهم﴾[[46]](#footnote-47) " [[47]](#footnote-48) ، و هذا المثال الذي عرضنا له علاقة بتحديد اللفظ ، أما ما يخص استخراج الأحكام نذكر شرحه لقوله - تعالى -:﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾[[48]](#footnote-49) حينما فسر الفواحش بالزنا ، و جعل ما ظهر منها ما يفعله سفهاؤهم في الحوانيت و ديار البغايا ، و بما بطن اتخاذ الأخدان سرا ، و بما أن أهل الجاهلية كانوا يرون الزنا سرا حلالا ، و في العلن من المحرمات ؛ جاءت صيغة الجمع في الفواحش ، و علل ما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا اللمم ﴾ [[49]](#footnote-50) ، و قوله تعالى : ﴿ و لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة و ساء سبيلا ﴾ [[50]](#footnote-51)[[51]](#footnote-52) .

**ب- منهجه في تفسير القرآن بالحديث النبوي :**

لا يخفى دور الحديث النبوي في بيان مقصود القرآن ، " فالسنة راجعة في معناها إلى الكتاب ، فهي تفصيل مجمـله ، و بيان مشكله ، و بسـط مختصره ، و تخصيص عامه ، و تقييد مطلقه "[[52]](#footnote-53) .

و للتفسير بالحديث النبوي دور هام في تفسير التحرير و التنوير ، فابن عاشور استعان به في مواطن كثيرة ، و حرص على ذكر مصادرها ، كما ذكر الراوي الأول للحديث أحيانا .

ففي قوله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون ﴾ [[53]](#footnote-54) ، رُوِىَّ عن أحمد و ابن حبان و البيهقي عن أبي هريرة قال : " جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم – فقال : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال: سينهاه ما تقول " [[54]](#footnote-55) - أي صلاته - .

و في مواطن كثيرة يستغني عن الراوي مكتفيا على وجه الاختصار بالمصدر ، مثال ذلك ما ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [[55]](#footnote-56) ، في صحيح البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال : بينما أنا في المسجد الحرام بين النائم و اليقظان إذ أتاني جبريل ... إلى آخر الحديث . و هذا أصح و أوضح مما روي في حديث آخر أن الإسراء كان من بيته أو كان من بيت أم هاني بنت أبي طالب أو من شعب أبي طالب و التحقيق حمل ذلك على أنه إسراء آخر ، و هو الوارد في حديث المعراج إلى السماوات ، و هو غير المراد في هذه الآية ، فللنبي - صلى الله عليه وسلم - كرامتان [[56]](#footnote-57) : أولهما الإسراء و هو المذكور هنا ، و الأخرى المعراج وهو المذكور في حديث الصحيحين مطولا و أحاديث غيره . و قد قيل إنه هو المشار إليه في سورة النجم[[57]](#footnote-58) .

و لم يكتف ابن عاشور بالنقل فيما يخص الحديث ، بل رجح و ناقش **بعض طرق الإسناد** ؛ ليظهر احتكاكه بعلم الحديث .

**ففي حالة اضطراب الرواة يتصدى لنقد السند معللا سببه** ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [[58]](#footnote-59) .

روى الترمذي عن أبي الدرداء أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ فقال : " ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت فهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له "، قال الترمذي : و ليس في عطاء بن يسار، أي: ليس في الحديث أن أبا صالح يرويه عن عطاء بن يسار كما هو معروف في رواية أبى صالح إلى أبى الدرداء ، و عليه فالحديث **منقطع غير متصل السند** ، و قد رواه الترمذي بسندين آخرين منهما عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء و ذلك سند فيه مجهول ، فحالة إسناد هذا الخبر مضطربة لظهور أن عطاء لم يسمعه من أبى الدرداء[[59]](#footnote-60) .

و من جانب المتن يناقش الطاهر بعض القضايا و ما جاء فيها من روايات معللا ذلك ، منه قوله تعالى : ﴿ و ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم و لا تأكلوها إسرافا و بدارا أن يكبروا ﴾ [[60]](#footnote-61) ، حيث ناقش قضية البلوغ ؛ و جعل صلاحية الزواج تختلف باختلاف البلاد في الحرارة و البرودة ، و باختلاف أمزجة أهل البلد الواحد في القوة و الضعف ، و المزاج الدموي و المزاج الصفراوي .

فلذلك أحاله القرآن على بلوغ أمد النكاح ، و الغالب في بلوغ البنت أنه أسبق من بلوغ الذكر ، فإن تخلفت عن وقت مظنتها ، فقال الجمهور : يستدل بالسن الذي لا يتخلف عنه أقصى البلوغ عادة ، فقال مالك في رواية ابن القاسم عنه ، هو ثمان عشرة سنة للذكور و الإناث ، و روى غير ابن القاسم عن مالك أنه سبع عشرة سنة ، و المشهور عن أبي حنيفة : أنه تسع عشرة سنة للذكور و سبع عشرة للبنات .

و قال الجمهور خمس عشرة سنة . قاله القاسم بن محمد و سالم بن عـبد الله بن عـمر، و إسحاق ، و الشافعي ، و أحمد ، و الأوزاعي ، و ابن الماجشون ، و به قال أصبع ، و ابن وهب من أصحاب مالك ، و اختاره الأبهري من المالكية ، و تمسكوا بحديث ابن عمر أنه عرضه رسول الله- صلى الله عليه السلام - يوم بدر وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ، و عرضه يوم أحد ، وهو ابن خمس عشرة فأجازه ، **و لا حجة فيه ؛ إذ ليس يلزم أن يكون بلوغ عبد الله بن عمر هو معيار بلوغ عموم المسلمين**-و يبرر بأنه - صادف أن رآه النبي - صلى الله عليه وسلم- و عليه ملامح الرجال ، فأجازه ، و ليس ذكر السن في كلام ابن عمر إيماء إلى ضبط الإجازة [[61]](#footnote-62) .

**ج- منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة :**

و هذا منهج دأب عليه جملة من المفسرين ، باعتبار الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداء ، و هم الذين شاهدوا و عاينوا ، و تلقوا التفسير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، و كان ما يُبهم عليهم يسألون عنه النبي- صلى الله عليه وسلم- ، و يروى عن عثمان - رضي الله عنه - أن النبي - عليه الصلاة و السلام - كان كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولى تفسيرها لهم ، فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة ، بل يعده الكثيرون من السنة ، ما دام لا يمكن أن يكون للرأي فيه مجالا [[62]](#footnote-63) .

و مما أخذ به ابن عاشور من أقوال الصحابة توجيهه للفظتي : **أدراك و يدريك** في قوله تعالى : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان و ما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ [[63]](#footnote-64) ، بما ورد " عن ابن عباس : كل ما جاء فعل ( ما أدراك ) فقد أعلمه الله به " ، أي : بينه لرسوله - صلى الله عليه و سلم- عقب كلمة (ما أدراك ) نحو ﴿ و ما أدراك ما هيه نار حامية ﴾ [[64]](#footnote-65) ، و كل ما جاء فيه ﴿ و ما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ [[65]](#footnote-66) ،﴿ و ما يدريك لعله يزكى ﴾ [[66]](#footnote-67) ، لم يعلم به ، أي : يعقبه بما يبين إبهامه .

و علق ابن عاشور على هذا بقوله : و لعل معنى هذا الكلام أن الاستعمال خص كل صيغة من هاتين الصيغتين بهذا الاستعمال فتأمل [[67]](#footnote-68) .

**المطلب الثالث : منهجه في التفسير بالرأي**

إلى جانب التفسير بالمأثور أسس الطاهر بن عاشور الجزء الأكبر من تفسيره على الرأي ، و المراد بالرأي : " كل ما يقابل التفسير النقلي ، و هو يعتمد على الفهم العميق و المركز لمعاني الألفاظ القـرآنية ... و يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القـرآنية ، و إدراك مقاصدها و مراميها من مدلولها و دلالتها ... ) [[68]](#footnote-69) .

و قد حدد ابن عاشور المراد بالمأثور في مقدمته الثالثة من التفسير ، و بين ضوابطه ، و رد عن الشبه القائلة بحرمة التفسير بالرأي .

حيث عرض الاعتراض بطريقة سؤال و جواب على شاكلة الزمخشري ، قال : إن قلت : أراك بما عددت من علوم التفسير تثبت أن تفسيرا كثيرا لم يستند إلى المأثور عن النبي - صلى الله عليه و سلم- ، و لا عن أصحابه - رضي الله عنهم - ، و تبيح لمن استجمع من تلك العلوم حظا كافيا ، و ذوقا ينفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه أن يفسر من آي القرآن بما لم يؤثر عن هؤلاء ، فيفسر بمعان تقتضيها العلوم التي يستمد منها علم التفسير ، و كيف حال التحذير الواقع في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال : " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " [[69]](#footnote-70) . و الحديث الذي رواه أبو داود و الترمذي و النسائي أن النبي - صلى الله عليه و سلم – قال : " من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "[[70]](#footnote-71) ، و كيف محمل ما روي من تحاشي بعض السلف عن التفسير بغير توقيف ؟ فقد روي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الأَبْ في قوله : ﴿ و فاكهة و أبا ﴾ ، فقال : " أي أرض تقلني ، و أي سماء تظلني ، إذا قلت في القرآن برأيي " ، و يروى عن سعيد بن المسيب و الشعبي إحجامهما عن ذلك[[71]](#footnote-72) .

و يمضي في الإجابة عن هذا الاعتراض متسائلا : هل اتسعت التفاسير و تفننت مستنبطات معاني القرآن إلا مما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم كتاب الله ؟ و هل يتحقق قول علمائنا : إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير ؟

و لولا ذلك لكان التفسير مختصرا في ورقات قليلة ، و استدل على ذلك بقول عائشة : " ما كان رسول الله يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن " [[72]](#footnote-73) .

و يثبت مذهبه القائل بالرأي بالنظر في الاجتهادات الفقهية متسائلا : "هل استنباط الأحكام التشريعية من القرآن في خلال القرون الثلاثة الأولى من قرون الإسلام إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن بما لم يسبق تفسيرها به قبل ذلك ؟ و هذا الإمام الشافعي يقول : تطلبت دليلا على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى : ﴿ و من يشاقق الرسوله من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصليه جهنم وساءت مصيرا ﴾ [[73]](#footnote-74) .

بعد هذا السجال المؤسس لنظرته حول التفسير بالرأي ، يرسم ابن عاشور مفهومه حول الرأي ، و حدود الرأي و ضوابطه فيقول : إن القول عن مجرد خاطر دون استناد إلى نظر في أدلة العربية و مقاصد الشريعة و تصاريفها ، و ما لا بد منه من معرفة الناسخ و المنسوخ و سبب النزول ، فهذا لا محالة إن أصاب فقد أخطأ في تصوره بلا علم ؛ لأنه لم يكن مضمون الصواب كقول المثل رمية من غير رام [[74]](#footnote-75) ، و هو هنا يشدد على ضرورة امتلاك أدوات التفسير الضرورية قبل خوض غمار التحليل و التأمل المستند للرأي .

و يركز الطاهر بن عاشور على أن الألفاظ القرآنية تحتمل الكثير من المعاني المرادة ، و أن القرآن كتاب الأمة كلها و فيه هديها ، و أن الله دعانا للتدبر و بذل الجهد في استخراج معانيه في غير ما آية كقوله تعالى : ﴿ و إذا جاءهم أمر من الأمن و الخوف أذاعوا به و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ [[75]](#footnote-76) ، و قوله تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ [[76]](#footnote-77) ، و بهذا فالنبي - صلى الله عليه و سلم - ما أراد بتفسيره إلا إيقاظ الأذهان إلى أقصى المعاني من ألفاظ القرآن [[77]](#footnote-78) .

**المطلب الرابع: نقوله من الكـتب المقدسة و الإسرائيليات**

استعانت العديد من التفاسير بالكثير من النقول عن الكتب المقدسة ، خصوصا عند شرح آيات أخبار الأمم الماضية ؛ و حوادثهم السالفة .

و من أمثلة هذه التفاسير : الطبري ت 310هــ ، و البغوي ت 510هـ ، و الزمخشري ت 538هــ ، و السيوطي ت 911 هــ ، و غيرهم ... [[78]](#footnote-79).

و قد تصدى أهل الحديث المحققون لهذا خصوصا ما يخص آيات العقيدة و الأحكام ، في حين تساهلوا في ما يخص القصص و المواعظ ، و ما يخص فضائل الأعمال ، و صرح ابن الصلاح أنه:" لا يجوز عند أهل الحديث و غيرهم التساهل في الأسانيد ، و رواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام لبيان ضعفها فيما سوى صفات الله ، و أحكام الشرعة من الحلال و الحرام ، و غيرهما ، و ذلك كالمواعظ و القصص و فضائل الأعمال و سائر ما لا تعلق له بالأحكام و العبادات " [[79]](#footnote-80) .

و عموم أهل الحديث يرفضون بشكل قاطع الاستدلال بالكتب المقدسة و الإسرائيليات لما وقع فيها من تحريف ، فابن حزم الأندلسي يرى أنه : " ما نزل القرآن و السنة عن النبي - صلى الله عليه و سلم - بتصديقه صدقنا به ، و ما نزل النص بتكذيبه ، أو ظهر كذبه كذبنا به ، و ما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه ، و أمكن أن يكون حقا أو كذبا ، لم نصدقهم و لم نكذبهم ، و قلنا ما أمرنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن نقوله – يقصد لا تصدقوا بني إسرائيل و لا تكذبوهم كما في الحديث - " [[80]](#footnote-81) .

و قد استدل الطاهر بالعديد من روايات التوراة و الإنجيل خصوصا في جانب قصص الأنبياء ، لكنه كان كثيرا ما يرفض الرجوع إليهم في ما يخص بعض الأمور الدقيقة ، مثل موقفه من أحاديث فضائل السور ؛ التي نقد سندها وضعفه معتمدا على أوثق مصادر الحديث.

و من أمثلة استعانة ابن عاشور بالكتب المقدسة ما ذكره في قصة نبي الله موسى و قومه عند قوله - تعالى -: ﴿ و إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أ تتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ [[81]](#footnote-82) .

فالآية تعرض لقصة من قصص بني إسرائيل ، ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم و من الإعنات في المسألة و الإلحاح فيها ، إما لعصيان الامتثال ، و إما لبعد أفهامهم عن مقصد الشارع ، و رومهم التوقيف على ما لا قصد إليه .

قيل إن أول هذه القصة هو المذكور بقوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ﴾[[82]](#footnote-83) الآيات ، و إن قول موسى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ ناشئ عن قتل النفس المذكورة ، و إن قول موسى قُدِّم هنا لأن خطاب موسى - عليه السلام - لهم قد نشأ عن ضرب من مذامهم في تلقي التشريع ، و هو الاستخفاف بالأمر حين ظنوه هزؤا و الإعنات في المسألة ، فأريد من تقديم جزء القصة تعددت قريعهم ، هكذا ذكر صاحب الكشاف و الموجهون لكلامه ، و لا يخفى أن ما وجهوا به تقديم جزء القصة لا يقتضي إلا تفكيك القصة إلى قصتين تعنون كل واحدة منهما بقوله : ( و إذ ) مع بقاء الترتيب على أن المذام قد تعرف بحكايتها و تنبه عليها بقوله : ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ ، و قوله : ﴿ و ما كادوا يفعلون ﴾ .

فالذي يظهر لي أنهما قصتان : أشارت الأولى و هي المحكية هنا إلى أمر موسى إياهم بذبح البقرة ، و هذه هي القصة التي أشارت إليها التوراة في السفر الرابع ، و هو سفر التشريع الثاني ( تثنية ) في الإصحاح 21 أنه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله فإن أقرب القرى إلى موقع القتيل يخرج شيوخها ، و يخرجون عجلة من البقرة لم يحرث عليها ؛ و لم تنجر بالنير ، فيأتون بها إلى واد دائم السيلان لم يحرث و لم يزرع ، و يقطعون عنقها هنالك ، و يتقدم الكهنة من بني لاوى فيغسل شيوخ تلك القرية أيديهم على العجلة في الوادي ، و يقولون لم تسفك أيدينا هذا الدم ، و لم تبصر أعيننا سافكه فيغفر لهم الدم [[83]](#footnote-84) .

كما يستدل بالإنجيل لبيان التفاضل بين أحمد - عليه السلام – و عيسى- عليه السلام- من خلال تبشير المسيح قومه به ، كقوله تعالى : ﴿ و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ [[84]](#footnote-85) ، يقول ابن عاشور : " و يصح اعتبار أحمد تفضيلا حقيقيا في كلام عيسى عليه السلام ، أي : مسماه أحمد مني ، أي: أفضل ، أي : في رسالته و شريعته ، و عبارات الإنجيل تشعر بهذا التفضيل ، ففي إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر " و أنا أطلب من الأب ( أي من ربنا ) فيعطيكم ( فارقليط) آخر ؛ ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق ؛ الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه و لا يعرفه "، ثم قال : و أما ( الفارقليط ) الروح القدس الذي سيرسله الأب ( الله ) باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، و يذكركم بكل ما قلته لكم " أي : في جملة ما يعلمكم أن يذكركم بكل ما قلته لكم " ، و هذا يفيد تفضيله على عيسى بفضيلة دوام شريعته المعبر عنها بقول الإنجيل : ( ليثبت معكم إلى الأبد ) و بفضيلة عموم شرعه للأحكام المعبر عنه بقوله ( يعلمكم كل شيء ) " [[85]](#footnote-86) ، و يستمر في استدلالاته المستمدة من التوراة و الإنجيل .

**المطلب الخامـس : منهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية**

في مطلع القرن الثالث الهجري كثرت القراءات القرآنية ، و تعددت الطرق و توسعت ، و لم يكن الآخذون عن أئمة القرن الثاني على درجة واحدة من الإتقان و التثبت فاختلفت القراءات ، و كان منها الصحيح التام السند و الضعيف ، و لقبول قراءة و استعمالها في تحليل النص القرآني وضع ابن عاشور شروطا.

قال : "من أجل ذلك اتفق علماء القراءات و الفقهاء على أن كل قراءة **وافقت وجها في العربية ، و وافقت خط المصحف** - أي مصحف عثمان – **و صح سند راويها ،** فهي قراءة صحيحة لا يجوز ردها " [[86]](#footnote-87) .

و حصر ابن عاشور توفر هذه الشروط في **القراءات العشر** [[87]](#footnote-88)، إلا أن خلفا ليست له رواية خاصة ، و إنما اختار لنفسه قراءة تناسب قراءات أئمة الكوفة ، فلم يخرج عن قراءات قراء الكوفة إلا قليلا [[88]](#footnote-89) .

و يلاحظ استناد ابن عاشور للقراءات ، و ربطها بالإعراب أثناء تحليله ، و بيان ذلك وقوفه عند ( ليس البر أن تولوا ) في قوله تعالى: ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب ﴾ [[89]](#footnote-90) ، يقول : " و قرأ الجمهور : ( ليس البر ) برفع البر على أنه اسم ليس ، و الخبر هو ( أن تولوا ) ، و قرأ حمزة و حفص عن عاصم بنصب البر على أن قوله : ( أن تولوا ) اسم ليس مؤخر ، و يكثر في كلام العرب تقديم الخبر على الاسم في باب كان و أخواتها إذا كان أحد معمولين هذا الباب مركبا من أن المصدرية ، و فعلها كان المتكلم بالخيار في المعمول الآخرين أن يرفعه أو ينصبه ، و شأن اسم ليس أن يكون هو الجدير بكونه مبتدأ به ، فوجه قراءة رفعه البر أن البر أمر مشهور معروف لأهل الأديان مرغوب للجميع ، فإذا جعل مبتدأ في حالة النفي أصغت الأسماع إلى الخبر ، و أما توجيه قراءة النصب فلا بد أن يكون أمر استقبال القبلة هو الشغل الشاغل لهم فإذا ذكر خبره قبله ترقب السامع المبتدأ فإذا سمعه تقرر في علمه ... و عن المبرد : لو كنت ممن يقرأ لقرأت : ( و لكن البر ) بفتح الباء ، و كأنه أراد الاستغناء عن التقدير في الإخبار عن البر بجملة ( من آمن ) ؛ لأن ( من آمن ) هو البار لا نفس البر ، و كيف يقرأ كذلك ، و البر معطوف بلكن في مقابلة البر المثبت فهل يكون إلا عينه ، و لذا لم يقرأ أحد إلا البر بكسر الباء ، على أن القراءات مروية و ليست اختيارا ، و لعل هذا لا يصح عن المبرد .

و قرأ نافع و ابن عامر : ( و لكن البر ) بتخفيف النون من لكن و رفع البر على الابتداء ، و قرأه بقية العشرة بتشديد نون لكن ، و نصب البر و المعنى واحد [[90]](#footnote-91) .

هكذا يستقصي الطاهر بن عاشور وجوه القراءات العشر أثناء تحليله الآيات ، و يرجح إحداها .

و المتتبع لمنهجه في الترجيع يلاحظ تقيُّده بما حدده في مقدمته السادسة ، و التي تحدث فيها عن القراءات ، و حدد من خلالها مراتب القراءات الصحيحة و بين طرق الترجيح بينها ، مؤكدا أن القراءات تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة ، أو الفصاحة ، أو كثرة المعاني ، أو الشهرة ، و هو تمايز متقارب .

كما نجده في كثير من الأحيان يركن إلى قراءة أهل بلده تونس : نافع برواية قالون ، يقول : " و أبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون ؛ لأنها القراءة المدنية إماما و راويا ، و لأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس ، ثم أذكر خلاف بقية القراء العشرة خاصة " [[91]](#footnote-92) .

**المطلب السادس : اعتماده علوم اللغة في التفسير**

و هي أساس بنى عليه الطاهر ابن عاشور تفسيره التحرير و التنوير ، حيث أولاها عناية فائقة و خاصة ، فهو يذكر اللغة على سبيل الربط بينها و بين المقاصد الكلامية ،يقول:" أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم و أدب لغتهم ... إن القرآن الكريم عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه ، و بدون ذلك يقع الغلط و سوء الفهم ، لمن ليس بعربي بالسليقة " [[92]](#footnote-93) ، و يعني ابن عاشور بقواعد العربية مجموع اللسان العربي ، و هي: متن اللغة ، و التصريف ، و النحو ، و المعاني ، و البيان ، و من وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم ، و أشعارهم ، و تراكيب بلغائهم [[93]](#footnote-94) .

و اعتنى ابن عاشور في تفسيره بكل جوانب اللغة أثناء تحليله لآيات القرآن مع التركيز على المعاني و البيان لما لهما من مزيد اختصاص بالتفسير .

كما اهتم بالمشترك اللفظي ؛ لما له من أهمية في حسم المعاني ، و اعتبره من أساليب القرآن التي أغفل المفسرون اعتبارها ، و أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين ، أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها ، و استعمال اللفظ في معناه الحقيقي و المجازي إذا صلح المقام لإرادتهما ، و بذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز ، و هذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر و دالة على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء و القدير عليه [[94]](#footnote-95) .

و ارتكازا على علم الإعجاز قديما أو علم البلاغة حديثا ، يخوض ابن عاشور غمار تحليل الآيات القرآنية ، تطبيقا لنظرية الإعجاز التي قدمها عبد القاهر الجرجاني ، و تتمة للتفعيل التطبيقي الذي قدمه جار الله الزمخشري في تفسيره الكشاف .

و يرى ابن عاشور **ملاك وجوه الإعجاز راجعا إلى ثلاث جهات :** أولها : بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه ، مفيدة معاني دقيقة و نكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة ، و ثانيها: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ، و لكنه غير خارج عما تسمح به اللغة ، و ثالثها : ما أودع فيه من المعاني الحكيمة و الإشارات إلى الحقائق العلمية و العقلية بما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن و في عصور بعده متفاوتة [[95]](#footnote-96) .

كما يركز في تحليله اللغوي على ضرورة التمييز بين أسلوب القرآن و باقي الأساليب العربية ؛ لأن للقرآن نظما غريبا جمع بين الإبداع و التقرير ، و بين مقصد الموعظة و مقصد التشريع ، يقول ابن عاشور : " نرى من أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين **مقصديه و هما : مقصد الموعظة ، و مقصد التشريع ، فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه و هو في هذا النوع يشبه خطبهم ، و كان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالم الخبير أحكاما كثيرة في التشريع و الآداب و غيرها** " [[96]](#footnote-97) .

**تقويم:**

عاش الطاهر بن عاشور في **ظروف عامة** مضطربة : سياسيا، و اقتصاديا، و اجتماعيا، و ثقافيا.

و في كنف **ظروف خاصة ؛** إذ عاش في وسط عائلي مثقف محافظ ميسور ، ضمن له الاطلاع المبكر على جل مصادر التفسير.

و قد أثرت هذه الظروف في بناء شخصية قوية واعية ظروف الأمة العربية و الإسلامية ، و بهذا أسس تفسيره الموسوعي الموسوم ب **( التحرير و التنوير )** أو ( تحرير المعنى السديد ، و تنوير العقل الجديد ، من تفسير الكتاب المجيد ) على منهج توازت فيه علوم الرواية : من حديث و علومه ، و أسباب نزول ، و علوم القرآن ، و علوم الدراية : من علوم اللغة على اختلاف تشقيقاتها : من نحو ، و صرف ، و دلالة ، و كان للبلاغة النصيب الأكبر ؛ لأنها لب الدرس اللغوي ، و للفقه الحظ الأوفر ؛ لأنه لب الدرس الشرعي .

و قد لخص الطاهر بن عاشور منهجه في مقدماته العشر ؛ التي عملنا على مدارستها و تلخيصها في ثنايا هذا المقال ؛ و التي بدأت بالتعريف بعلم التفسير و التأويل ؛ و بيان أصولهما و أغراضهما ، ثم عرجت على الأدوات الأساس لاقتحامه : من معرفة أسباب النزول ، و معرفة وجوه القراءات ، بعد ذلك بين أقسام القرآن من : قصص و عقيدة و شريعة ، ثم بين الوجوه التي تحتملها تراكيب القرآن بشكل عام .

ليختم بالحديث عن القضية الأكثر ارتباطا بالقرآن ، و هي قضية الإعجاز ، و التي طرح فيها نظريته الجديدة ، و سماها : **مبتكرات القرآن ،** و عمل على تحليل جل الآيات وفقها ؛ كاشفا دلالات جديدة لم يسبق إليها المفسرون قبله .

**المصادر والمراجع**

**\* القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع .

* الألباني محمد ناصر الدين (ت1999م) ، **ضعيف سنن الترمذي ،** مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض،1999م.
* إبراهيم عبد الله رفيدة ، **النحو و كتب التفـسير** ، الدار الجماهرية للنشر و التوزيع والإعلان ، ليبيا، الطبعة الثانية ، 1990 .
* إسماعيل أحمد ياغي ، **تاريخ العالم المعاصر ،** بمشاركة محمود شاكر ، دار المريخ للنشر ، الرياض المملكة العربية السعودية ، 1995م .
* بلقاسم الغالي : **شيخ الجامع الأعظم : الطاهر ابن عـاشـور حـياته و آثاره ،** دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، 1996م .
* خالد عبد الرحمان : **أصول التفسير و قواعده ،** دار النفائس ، الطبعة الثانية ، 1986م .
* ابن الخوجة محمد الحبيب ، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ،** طبع على نفقة صاحب السمو الملكي حمد بن خليفة آل ثاني بإشراف من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر ،2004 م .
* ابن حـزم: (ابن حزم الظاهري) ت548هـ ، **الفصل في الملل و الأهـواء و النحـل ،** مع هامش الملل و النحل ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
* الذهـبي محمد حسين : **الإسـرائيليات في التفسير و الحديث ،** مكتبة وهبة القاهرة ، بدون تاريخ .

**التفسير و المفسرون ،** دار الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ، 1976م .

* الزركلي : ( خير الدين الزركلي ) ت 1396هـ ، **الأعلام ،** دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر، 2002م .
* الشاطبي : ( إبراهيم الغرناطي ) ت790هـ ، **الموافقات في أصول الشريعة ،** و عليه شرح جليل لتحرير دعاويه و كشف مراميه ، و تخريج أحاديثه و نقد آرائه نقدا علـميا يعتمد على النظر العقلي و على روح التشريع و نصوصه بقلم الشيخ عبد الله دراز ، دار المعرفة بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
* الشنقيطي : ( محمد الأمين ) ت1393هـ ، **أضـواء البيان في إيضاح القـرآن بالقـرآن ،** خرج آياته و أحاديثه : محمد عبد العزيز الخالدي ، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العـزيز آل سعود ، مكتبة المعارف ، بدون تاريخ.
* ابن الصلاح : ( أبو عمرو عثمان ) ت 643 هـ ، **كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ،** مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، 1326هـ .
* الطحاوي : ( أحمد الأزدي المصري ) ت321هــ ، **شـرح مشكل الأثـر ،** تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1994م .
* ابن عاشور الطاهر ت 1973م ، **التحرير و التنوير ،** الدار التونسية للنشر و التوزيع ،و الدار الجماهرية للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ .
* الفاضل بن عاشور ، **الحـركة الأدبـية و الفكرية في تونس ،** الدار التونسية للنشر و التوزيع ،1972م .
* محمد محفوظ ، **تراجم المؤلفين التونسيين ،** دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1982م .
* محمد الهادي شريف ، **ما يجب أن يعرف عن تاريخ تونس ،** دار سراس للنشر بتونس ، بدون تاريخ .
* محمد أبو زهرة ، **المعـجزة الكبرى ،** دار الفكر العربي ، 1970 م .
* محمد بن مخلوف ، **شجرة النور الزكية في طبقة المالكية ،** دار الكتب العلمية العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2003م .
* ياقوت الحموي : ( شهاب الدين ) ت626هـ ، **معجم البلدان ،** دار صادر للنشر و التوزيع ، 1993م .

1. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور،محمد ابن الخوجة،1/153-154 - بتصرف- [↑](#footnote-ref-2)
2. ضاحية من ضواحي تونس الشمالية،ياقوت الحموي،معجم البلدان،5/107 [↑](#footnote-ref-3)
3. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور،محمد ابن الخوجة،1/153 [↑](#footnote-ref-4)
4. الحركة الأدبية والفكرية في تونس للفضل ابن عاشور،ص:57-58 [↑](#footnote-ref-5)
5. تاريخ العالم المعاصر،لإسماعيل أحمد ياغي،2/104 -بتصرف- [↑](#footnote-ref-6)
6. ما يجب أن يعرف عن تاريخ تونس، محمد الهادي شريف،ص:104-105 –بتصرف- [↑](#footnote-ref-7)
7. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور،الحبيب بن الخوجة،1/104 - بتصرف- [↑](#footnote-ref-8)
8. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور،الحبيب بن الخوجة،1/104 -بتصرف- [↑](#footnote-ref-9)
9. نفسه - بتصرف- [↑](#footnote-ref-10)
10. شيخ الجامع الأعظم،لبلقاسم الغالي،ص:59- بتصرف - [↑](#footnote-ref-11)
11. نفسه،ص:57- بتصرف- [↑](#footnote-ref-12)
12. الأعلام، للزركلي،3/289 [↑](#footnote-ref-13)
13. نفسه، للزركلي،6/162 [↑](#footnote-ref-14)
14. تراجم المؤلفين التونسيين،لمحمد محفوظ،2/162 [↑](#footnote-ref-15)
15. نفسه،3/313 [↑](#footnote-ref-16)
16. نفسه، 3/198 [↑](#footnote-ref-17)
17. تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ،3/291 [↑](#footnote-ref-18)
18. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، ص:440 [↑](#footnote-ref-19)
19. إبراهيم المويلحي،كاتب وناقد مصري،ولد سنة1272هـ بالقاهرة،وتوفي سنة 1323هـ [↑](#footnote-ref-20)
20. التحرير والتنوير،الطاهر ابن عاشور،1/8 [↑](#footnote-ref-21)
21. نفسه،3/636 [↑](#footnote-ref-22)
22. النحو وكتب التفسير،إبراهيم رفيدة،2/1026 [↑](#footnote-ref-23)
23. التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور،1/5 [↑](#footnote-ref-24)
24. نفسه،1/5-6 [↑](#footnote-ref-25)
25. التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور،1/6 [↑](#footnote-ref-26)
26. التفسير والمفسرون،1 /239-350 [↑](#footnote-ref-27)
27. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/24 [↑](#footnote-ref-28)
28. ابن عاشور،التحرير والتنوير ،1/11 [↑](#footnote-ref-29)
29. نفسه،1/13 [↑](#footnote-ref-30)
30. نفسه،1/18 [↑](#footnote-ref-31)
31. المقصود بالأثر الأحاديث الصحيحة التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أولا،ثم باقي المرويات المكملة؛التي وردت في بيان المراد من بعض آيات القرآن في موضع الإشكال والإجمال ، ثم نقل الصحابة و التابعيين . [↑](#footnote-ref-32)
32. ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، 1/28 [↑](#footnote-ref-33)
33. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/39-42 [↑](#footnote-ref-34)
34. نفسه،1/46-47 [↑](#footnote-ref-35)
35. نفسه،1/51 [↑](#footnote-ref-36)
36. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/64 [↑](#footnote-ref-37)
37. ابن عاشور،التحرير والتنوير ،1/98 [↑](#footnote-ref-38)
38. نفسه،1/99 [↑](#footnote-ref-39)
39. نفسه،1/98 [↑](#footnote-ref-40)
40. نفسه،1/104 [↑](#footnote-ref-41)
41. نفسه،1/120 [↑](#footnote-ref-42)
42. الأمين الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 1/67 [↑](#footnote-ref-43)
43. محمد حسين الذهبي،التفسير والمفسرون،1/40 [↑](#footnote-ref-44)
44. الطاهر بن عاشور،التحرير والتنــــوير،1/28،وهذهالمصطلحات ذات علاقة بالدرس الأصولي [↑](#footnote-ref-45)
45. المطففين،الآية:14 [↑](#footnote-ref-46)
46. البقرة،الآية:8 [↑](#footnote-ref-47)
47. ابن عاشور،التحرير والتنوير،3/199 [↑](#footnote-ref-48)
48. الأنعام،151 [↑](#footnote-ref-49)
49. الشورى،الآية:32 [↑](#footnote-ref-50)
50. الإسراء،الآية:32 [↑](#footnote-ref-51)
51. ابن عاشور،التحرير ولتنوير،8/160 – بتصرف- [↑](#footnote-ref-52)
52. الشاطبي،الموافقات،4/3 [↑](#footnote-ref-53)
53. العنكبوت،الآية45 [↑](#footnote-ref-54)
54. ابن عاشور،التحرير والتنوير،20/260، والحديث إسناده صحيح أخرجه الطحاوي في(شرح مشكل الآثار) تحت رقم:2056 [↑](#footnote-ref-55)
55. الإسراء،الآية:1 [↑](#footnote-ref-56)
56. والإسراء والمعراج من خوارق العادات وليست كرامات كما جاء في عبارة ابن عاشور [↑](#footnote-ref-57)
57. ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، 14/23 [↑](#footnote-ref-58)
58. يونس ، 62-64 [↑](#footnote-ref-59)
59. ابن عاشور ، التحرير والتنوير،11/219 [↑](#footnote-ref-60)
60. النساء،الآية:7 [↑](#footnote-ref-61)
61. ابن عاشور،التحرير والتنوير،مج3/ج4،ص:239 [↑](#footnote-ref-62)
62. محمد أبو زهرة،المعجزة الكبرى القرآن،ص:561،ولعل المقصود بالأمور التي لا يمكن أن يكون للرأي فيهامجالا: الأمور الغيبية. [↑](#footnote-ref-63)
63. الشورى،الآية 18 [↑](#footnote-ref-64)
64. القارعة،الآيتان:10-11 [↑](#footnote-ref-65)
65. الشورى،الىية18 [↑](#footnote-ref-66)
66. عبس،الآية:3 [↑](#footnote-ref-67)
67. ابن عاشور،التحرير والتنوير،25/68-69 [↑](#footnote-ref-68)
68. خالد عبد الرحمان،أصول التفسير وقواعده،ص:167 [↑](#footnote-ref-69)
69. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، رقم: 2951 [↑](#footnote-ref-70)
70. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، رقم: 2952 [↑](#footnote-ref-71)
71. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/28 [↑](#footnote-ref-72)
72. نفسه،1/28 [↑](#footnote-ref-73)
73. النساء،الآية:115 [↑](#footnote-ref-74)
74. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/30 [↑](#footnote-ref-75)
75. النساء،الآية83 [↑](#footnote-ref-76)
76. العنكبوت،الآية:49 [↑](#footnote-ref-77)
77. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/30 [↑](#footnote-ref-78)
78. الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص:131 [↑](#footnote-ref-79)
79. ابن الصلاح،علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، ص:39 [↑](#footnote-ref-80)
80. ابن حزم الظاهري،الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/217 [↑](#footnote-ref-81)
81. البقرة،الآية:67 [↑](#footnote-ref-82)
82. البقرة،الآية:82 [↑](#footnote-ref-83)
83. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/564 [↑](#footnote-ref-84)
84. الصف،الآية:6 [↑](#footnote-ref-85)
85. ابن عاشور،التحرير والتنوير،28/184 [↑](#footnote-ref-86)
86. نفسه،1/53 [↑](#footnote-ref-87)
87. وهي:قراءة: نافع وابن كثير وأبي عمرو البصري وابن عامر وعاصم و حمزة و الكسائي و يعقوب وأبو جعفر وخلف البزار [↑](#footnote-ref-88)
88. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/53-54 [↑](#footnote-ref-89)
89. البقرة،الآية:117 [↑](#footnote-ref-90)
90. ابن عاشور،التحرير والتنوير،1/128-129 [↑](#footnote-ref-91)
91. نفسه،1/63 [↑](#footnote-ref-92)
92. ابن عاشور،التحرير والتنوير ،1/18 [↑](#footnote-ref-93)
93. نفسه ،1/18 [↑](#footnote-ref-94)
94. نفسه،1/123 [↑](#footnote-ref-95)
95. نفسه،1/104 [↑](#footnote-ref-96)
96. ابن عاشور،التحرير والتنوير ،1/115- 116 [↑](#footnote-ref-97)